د. محمد دودح
باحث علمي في هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة

السؤال : ما عن معنى جريان الشمس في القرآن الكريم في ضوء المعرفة الحديثة بنسبية حركة الأجسام، وهل جريان الشمس يعني حركتها اليومية الظاهرية والأرض ساكنة على عكس ما هو سائد اليوم في علم الفلك من حركة الأرض حولها؟

الجواب :
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ،

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد، حول السؤال عن معنى جريان الشمس في القرآن الكريم في ضوء المعرفة الحديثة بنسبية حركة الأجسام، وهل جريان الشمس يعني حركتها اليومية الظاهرية والأرض ساكنة على عكس ما هو سائد اليوم في علم الفلك من حركة الأرض حولها؛ أقول مستعينا بالعلي القدير موجزا الجواب في عناصر على النحو التالي:

(١) فلك الشمس:

من مفاخر عصر العلم الاكتشاف بأن مجرتنا درب التبانة تدور بكل حشودها وتوابع نجومها حول نفسها بخلاف النظرة السائدة قبل الثورة العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة أن النجوم ثوابت، ويبلغ نصف قطر المجرة حوالي: ٥٠ ألف سنة ضوئية وتقبع الشمس في ذراع على بعد يقارب ثلثي المسافة من المركز، ويبدو موضعها فلكيا للمراقب الأرضي بالنسبة للمجرات البعيدة وكأنه مستقر ولكن الحقيقة أنها تدور في فلكها حول مركز المجرة لتقوم برحلة طويلة أجلها يقدر بحوالي ٢٥٠ مليون سنة، وهي تقطع مدارها بسرعة هائلة أشبه ما تكون في عالم البشر بالجري لا السير تبلغ حوالي ٢٥٠ كم/ثانية[١].



تقبع الشمس على أحد أذرع مجرتنا درب التبانة وتدور بدوران المجرة حول نفسها.

(٢) في القرآن تلطف في البيان:

اعتمدت التصورات الفلكية السائدة حتى القرن السابع عشر مبدأ مركزية الأرض للعالم وحركة الشمس حولها وفق الظاهر وأن النجوم ثوابت على فلك شفاف تدور بدورانه وأن الكواكب بالمثل لا حركة ذاتية لها وإنما تدور بدروان أفلاكها الشفافة، بينما تجد القرآن الكريم يسبق ويتلطف لا يلفت عن الغرض حوالي عشرة قرون بتقديم مفاهيم جديدة لم يشر إليها أي كتاب يُنسب للوحي يسبقه، فلم يُخالف الرؤية الظاهرية في أن النجوم علامات ثوابت يَهتدي بها الرَّحال والبَحَّار مثل المعالم الجغرافية كالجبال والأنهار في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىَ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ النحل ١٥و16، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرّ وَالْبَحْرِ﴾ الأنعام 97، ولكنك إذا تأملت تلاحظ النسبة للمشاهدين من الأرض باللفظ (هُمْ) واللفظ (لَكُمُ) فكليهما في العلم بثبات النجوم ظاهريا سواء؛ بينما يتجرد وصف النجوم بالحركة حقيقةً من النسبة لهم كما لو كان الراصد خارج منظومة الكون أجمعه مع التعبير بالجمع ليشمل كل نجم مبينا أن حركته في فلكه مقدرة في قوله تعالى: ﴿وَالْنّجُومُ مُسَخّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ النحل 12، قال ابن كثير: "النجوم الثوابت والسيارات في أرجاء السماوات.. كل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مُقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص منها.. كما قال تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف ٥٤"[٢]، وتجري الشمس بالمثل بحركة ذاتية في فلك أو مدار Orbit أجل قطعه لتكمل دورتها مقدر؛ وكذلك القمر في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مّسَمّى﴾ الرعد2

وفاطر13 والزمر5، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لقمان 29؛ والعدول للتعميم بلفظ "كُلّ" يعمم وصفهما بالحركة المقدرة ليشمل كل الأجرام وإن لم يذكر سواهما، وأما قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء 33؛ فيعني تعدد الأفلاك وتعدد آجال قطعها وهو الأبلغ لبيان كمال العظمة والاقتدار.

والمعلوم عند اللغويين أن لفظ (كل) يلزمه إضافة تبينه فتقول (كل الأزهار يانعة) و(كل الأشجار مبهجة)، وفي (كلٍّ يجرى) جاء التنوين عِوَضًا عن الإضافة استغراقًا في معنى الشمول بلا حاجة لتبيين اعتمادًا على السياق، والسياق يتعلق بحركة أجرام في مقام بيان العظمة والاقتدار مما يعمم الوصف لكل الأجرام فالكل مسخر بقدرة العلي المقتدر، قال أبو حيان: "قال ابن عطية: والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب (والنجوم)، ولذلك قال (كل يجري لأجل مسمى) أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من (المسخرات).."، وقال ابن عباس..: قدر لكل منهما سيراً خاصاً.. بمقدار خاص من السرعة"[٣]، وقال الرازي: "ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون لها بحسب كل لحظة.. حالة أخرى ما كانت حاصلة قبل ذلك"[٤]، وقال الألوسي: "(كُلٌّ يَجْرِى) يسير في المنازل.. (لأجل مُّسَمًّى) أي وقت معين.. (يُتم كل جرم فيه دورته) وهو المروى عن ابن عباس، وقيل.. كل يجري لغاية.. ينقطع دونها سيره.. وهذا مراد مجاهد من تفسير الأجل المسمى بالدنيا..، والتفسير الحق ما روى عن الحبر، وأما الثاني فلا يناسب.. (مقام) التسخير والتدبير ثم إن غايتهما متحدة والتعبير بكل يجري صريح في التعدد"[٥]، وقال أبو السعود: "(لأجَلٍ مُّسَمًّى): لمدة معينةٍ (لكل جرم)؛ فيها تتم دورتُه"[٦]، وقال ابن كثير: "(وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) أي والنجوم (و)السيارات.. (في أرجاء).. السماوات؛ الجميع يسيرون بمقدار معين وعلى منهاج مقنن.. تقديرًا من عزيز عليم"[٧].

(٣) النسبية بديهة في القرآن:

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل 88؛ من فاتته النسبة الضمنية في التمثيل تَوَهَّم الدلالة على تحرك الكوكب تلمسًا للتوفيق مع المعرفة الحديثة بحركة الأرض حول الشمس، وما هو إلا تصور لا علاقة له بدلالة السياق وإن كان من البديهيات في القرآن الكريم أن كوكب الأرض يجري في فلك يخصه مثل كافة الأجرام في الكون، ولكن التمثيل المركب يدفعك لاستحضار مشهد قطع السحاب وأنت تتأمله من سطح الأرض وبالكاد تميز مروره بالنسبة لرءوس الجبال بحركة بطيئة قد يفوتك رصدها بالنظرة العاجلة، والمضمون هو أن الجبال ذاتها كعلامات بارزة للغلاف الصخري للأرض تبدو لك جامدة ساكنة فتحسب أنها في الحقيقة كذلك ولكنها بالنسبة إلى ما دونها تمر بحركة بطيئة نسبيا كما يمر السحاب بالنسبة إليها، وكما أن تحرك السحاب يرجع في الآلية لتيارات الرياح كما يكشفه لك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ الأعراف 57، فإن تحرك الألواح القارية يرجع بالمثل لحركة دوامات الصهير الباطني كما يكشفه لك قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الملك 16؛ والموران في اللغة يعني الحركة في دوران كما هي الدوامات، ولك أن تتصور إذن أن الباطن ليس جامدًا وإنما هو أقرب إلى الميوعة مما يجعل الوصف بالقطع مقصورا على الألواح القارية في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ الرعد 4، وأما وصف القطع بالمتجاورات فيجعل البحار العظيمة مجرد معالم سطحية فوقها كما هو الواقع بالفعل.

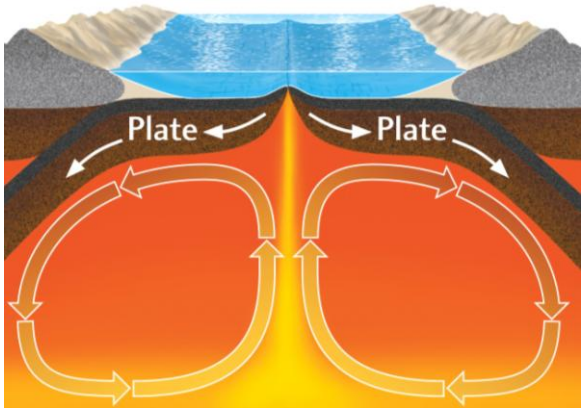

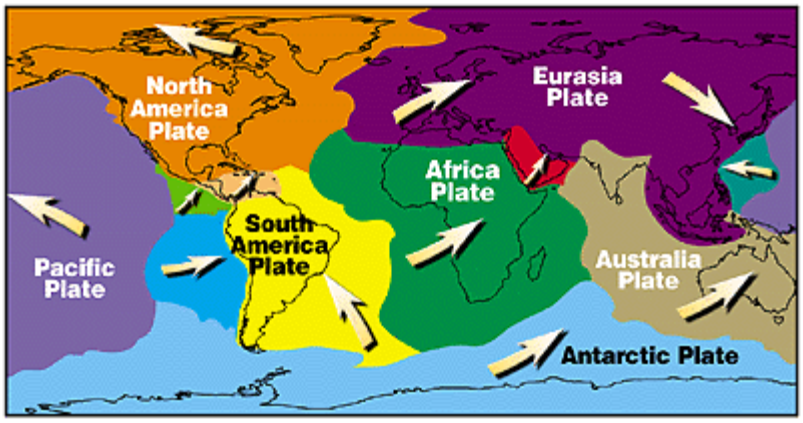

تتحرك ألواح الأرض ببطء وتنقص دوما من أطرافها نتيجة لحركة دوامات الصهير تحتها.

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ غافر٦٤؛ لا يغرنك توهم التناقض مع العلم بوصف الأرض بالقرار لأن القاعدة عند المحققين أن دلالة كل لفظ بحسب سياقه؛ ولفظ (الأرض) هنا لا يعني الكوكب، فلا يستقيم القول بأن الجبال تثبته وتمنعه أن يميد ويضطرب وإنما يليق الوصف بالغلاف الصخري الذي كانت قطعه تميد فوق دوامات الصهير فثبتتها وأرستها الجبال، وهو نفس المعنى في قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ النمل٦١، وأما مع قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىَ فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النحل 15 ولقمان ١٠، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ الأنبياء 31، فيرتعد الوجدان أمام مشهد من الماضي السحيق لم يعلم به أحد قبل أن تنقب الكشوف العلمية وتكشف عن سجلاته ولم يعاينه بشر في زمن لم يوجد على الأرض حي يدب بعد وهي صهير تمتد على سطحه قطعًا تميد فثبتتها الجبال؛ والقرائن عديدة على أن لفظ (الأرض) لا يعني الكوكب بالضرورة وقد يصرفه السياق إلى السطح الصخري الطافي فوق صهير الباطن كالفراش يحمي مُعتليه، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ البقرة 22، وتكفي النسبة إلى البشر في العبارات: "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ" و"تَمِيدَ بِكُمْ" و"تَمِيدَ بِهِمْ" لصرف معنى (الأرض) لما تحت أقدامهم مباشرة من الطبقة السطحية والمعدة سلفًا لتحميهم عند قدومهم بيانا للإبداع وسبق التقدير والقصد، وبذلك كان السطح الصخري كالمهاد للصبي يحميه وكانت الجبال الممتدة عميقا في هيئتها ووظيفتها بمثابة الأوتاد للخيمة تمامًا؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ النبأ ٦و7.

(٤) نسبية حركة الأرض في القرآن:

في قوله تعالى: ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس ٤٠، التعبير (لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ) مبني على الحقيقة لا الظاهر لأن الشمس أسرع من القمر في الظاهر حيث تقطع القبة السماوية في يوم بينما تتم أوجه دورته في شهر، فالمعنى إذن أنه أسرع حقيقةً من الشمس وهو الواقع؛ لأنه تابع مع الأرض لها يزيد على السير معها في فلكها بالسير مع الأرض حولها، وإذا كانت حركة الأجرام ذاتية بعكس الوهم السائد فليست الأفلاك إذن أجسام وإنما طرائق تجري فيها الأجرام جريان السمك في الماء، قال الرازي: "الفلك ليس بجسم وإنما هو مدار هذه النجوم"[٨]، وقال الألوسي: "تجري في.. الأفلاك جري السمك في الماء"[٩]، أي: "يجري الكوكب بنفسه في جوف السماء وهي ساكنة لا تدور أصلاً.. جريان السمكة في الماء"[١٠]، ومعنى الذاتية في (لها) تخصيص بها يحرر حركتها من النسبة للبشر ويصرفها لحركتها في فلكها ويجعل وصف جموع النجوم بالتسخير والحركة المقدرة الأجل على التوزيع فيؤكد التنويع وانتظام الكل في حشود وتوابع إظهارًا للعظمة والاقتدار، ونفي إدراك الشمس للقمر تمثيل لحركة كل منهما في فلكه وكأنهما في سباق يجعلها أثقل حركةً ويجعله تابعًا يدور مع الأرض حولها وإلا وقع انفلات عكس الواقع من الاستقرار والنظام، قال القاسمي: "التنوين في لفظ (كُلٌّ) عوض عن الإضافة (والتقدير: كل الأجرام في الكون) والمعنى كل واحد.. في فلك خاص به يسبح بذاته"[١١]، وقال الألوسي: "فيه دليل على أن الشمس متحركة.. على مركز آخر كما تتحرك الأرض عليها"[١٢]، وأن: "للثوابت حركة"[١٣]، وقال ابن عاشور: "المراد تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الأجرام وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن"[١٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىَ عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يس ٣٩؛ بخلاف ما ظل يُعتقد لعهد قريب من ثبات القمر على فلك شفاف يدور بلغ تأكيد حركته الذاتية أن عاد الوصف بالتقدير على جرم القمر ذاته بيانا لسيره المقدر الأجل ليقطع فلكه ويُتم دورة كاملة بالنسبة للبروج النجومية، قال الطبري: "إنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم.. اليابس لأن ذلك (العود الذي يحمل التمر في النخل).. لا يكاد يوجد إلا متقوّسًا منحنيًا إذا قدم ويبس..، فكذلك القمرُ إذا كان في آخر الشهر قبل استتاره صار في انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون"[١٥]، وقال الزمخشري: "المعنى قدرنا مسيره منازل.. وهذه المنازل هي مواقع النجوم"[١٦]، وقال الألوسي: "(حَتَّىَ عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ) أي صار (هلالا) في أواخر سيره.. ووجه الشبه الاصفرار والدقة والاعوجاج"[١٧]، ولفظ (حَتَّىَ) يفيد بلوغ أقصى الغاية فيعني (قَدَّرْنَاهُ) أن الدورة الكاملة للقمر بالنسبة للنجوم ذات أجل مقدر الطول تقل قيمته عن الشهر بما يماثل فترة المحاق؛ من هلال بداية الشهر إلى هلال نهايته، قال ابن عاشور: "التقدير يطلق على جعل الأشياء بقدْر ونظام محكم ويطلق على تحديد المقدار.. مثل تقدير الأوقات"[١٨]، وتعليل الفارق فلكيًا هو حركته مع الأرض حول الشمس أثناء حركته حول الأرض، قال الألوسي: "القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوماً وثلث"[١٩]، وقال سيد قطب: "يولد هلالاً ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بدراً ثم يأخذ في التناقص حتى يعود هلالاً مقوساً..، والقلب البشري الذي يعيش مع القمر دورة كاملة لا (تفوته).. سبحات مع اليد المبدعة للجمال والجلال المدبرة للأجرام بذلك النظام"[٢٠].

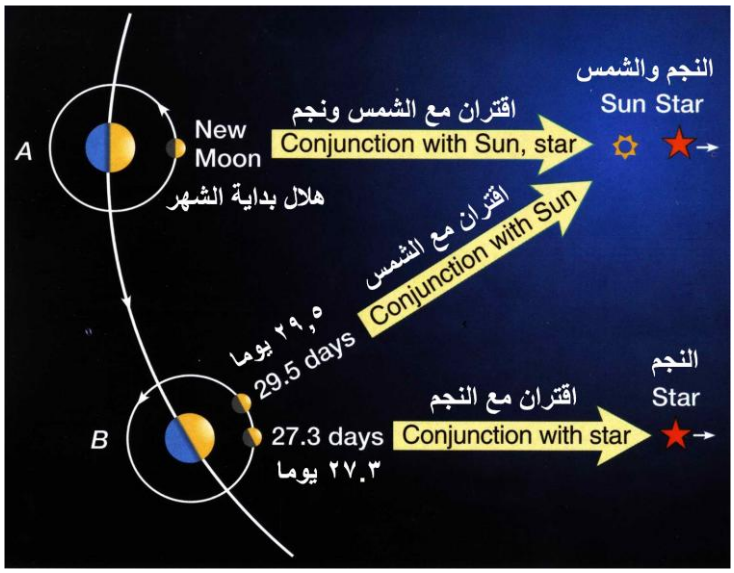

يقطع القمر مداره بالنسبة لنجم بعيد في ٢٧ يوما وثلث والشهر
٢٩,٥ يوما وترجع الزيادة إلى حركته مع الأرض حول الشمس.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾؛ يستقيم حمل الليل والنهار على جانبي الأرض بيانا لحركتها حول الشمس في مقام وصف حركة كافة الأجرام وكأن الراصد خارج النظام الشمسي ليبدو كليهما في سباق حول الشمس لا يسبق أحدهما الآخر، وفي قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف ٥٤؛ إذا لاحظت التمييز بين الليل المقابل للنهار وبين الليل الذي يغشى النهار في جانب الأرض المقابل للشمس والجانب الآخر تعبيرا عن ظلام الكون فلن تفوتك الدلالة على أن ملاحقته حثيثًا للنهار على الدوام إنما هي بيان لحركة الأرض سريعًا مثلما تجري كافة الأجرام غير مخالفة للنظام، والبشر يعاينون آيات السماوات كالشمس والقمر تمر عليهم ولكن القرآن الكريم يجعل سكون كوكب الأرض نسبي دالا على حركته اليومية والسنوية بتقريره أنهم هم الذين يَمُرّونَ على آيات السماوات وهم على ظهرها كما يمرون على آيات الأرض وهم على ظهر المركوبات السيارة ولا يعتبرون، يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف ١٠٥، قال جوهري: "أرضنا (إذن) دائرة غير دائرة نحن نراها ساكنة ولكنها دائرة لا تهدأ"[٢١]، "ومن جملة سيارات شمسنا هذه الأرض التي نحن عليها والقمر ملتزم بها ويدور عليها ومعها على الشمس"[٢٢]، إذن: "دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف للقرآن فحسب بل له منه دلائل"[٢٣].

(٥) مستقر الشمس:

يعاين الراصد الأرضي المجرة من داخلها وكأن الأرض هي المركز، وبتلك الكيفية تبدو الشمس متجهة مع المنظومة المحلية للنجوم Local system of stars بالنسبة للنجوم الأبعد نحو نقطة تسمى الأوج الشمسي Solar apex حيث يقع النجم المسمى بالنسر الواقع Vega ضمن حشد القيثارة Lyra، ولكن هذا اتجاه ظاهري Apparent direction ومبني على مشاهدات في الكرة السماوية وقتية لحركات نسبية لحشود النجوم خلال دورتها حول مركز المجرة فلا يعني أن الشمس ستتوقف حركتها وتفنى بالاصطدام بالنسر الواقع، ولذا لا يصح حمل (مستقرها) على وجهتها تلك فضلا على أن التعبير أقرب لوصف كيان يفيض بالحياة لا جسم ميت مودع في الأرض قد حجبه التراب وانطفأت فيه للأبد شمعة الحياة، ألا ترى أن الله تعالى قد قرن بين المستقر والتنعم بمتاع الحياة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ البقرة ٣٦ والأعراف ٢٤، وأنه تعالى جعل الوصف بالمستقر يخص الأحياء في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ هود ٦، قال البغوي: "عن ابن عباس: مستقرها المكان الذي تأوي إليه وتستقر.. ومستودعها الموضع الذي تُدفن فيه إذا ماتت"[٢٤]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ الأنعام ٩٨، فمستقر الشمس إذن موضعها

فلكيا الذي تبدو فيه نسبيًّا مستقرة وإن كانت تجري حقيقةً لتقطع فلكها طويل الأجل وتعود إليه لبيان حدث منتظم مقدر فناسبه الوصف بالتقدير في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يس٣٨.

(٦) مآثر في البيان:

لو تأملت قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ وما يحمل من مضامين وروائع تصويرية لأذهلك الإحكام في وصف فلك الشمس، وما أشبه طول رحلتها لتقطع منازلها حتى تعود لنفس هيئتها الفلكية بأطول رحلة عرفها العرب زمن الوحي في الشتاء والصيف حيث يمرون على منازل القبائل كعلامات ثابتة على الطريق حتى يعودوا لمستقرهم، والتقدير أن الشمس تجري حقيقة بين حشود فلكية كالمنازل للمرتحل لتقطع فلك يخصها طويل الأجل حتى أنها تبدو مستقرا لها، ولفظ (تجري) فعل مضارع يفيد الارتحال بحركة ذاتية على الدوام، وهو تعبير تصويري يدل على الحركة العاجلة تمثيلا بحركة العدائين، ولا يستقيم حمل جري الشمس على ظاهر حركتها لأنها تقطع القبة في نهار كامل وبسرعة لا يستقيم أن توصف بالجري حتى أنها تبدو بنظرة عاجلة بالنسبة لمعالم الأرض عند الأفق أقرب للسكون فضلا على أن الوصف مجرد من النسبة للمخاطبين، ومعنى الذاتية في (لها) تخصيص بها يحرر حركتها من النسبة للبشر ويصرفها لحركتها في فلكها ويجعل وصف جموع النجوم بالتسخير والحركة المقدرة الأجل على التوزيع فيعني التنويع وانتظام كافة الأجرام في حشود وتوابع إظهارًا للعظمة والاقتدار.

قال السمرقندي: "(والشمس تَجْرِى لِمُسْتَقَرّ لَّهَا)..: قال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها.. ثم ترجع إلى أول منازلها، وقال القتبي..: يعني إلى مستقر لها ومستقرها أقصى منازلها.. ثم ترجع فذلك مستقرها"[٢٥]، وقال ابن الجوزي: "تسير في منازلها حتى تنتهيَ إلى مُسْتَقَرّها الذي لا تجاوزُه (كما يبدو لنا) ثم ترجِع إلى أوَّل منازلها"[٢٦]، وقال أبو بكر الجزائري: "أي تجري في فلكها؛ منه تبتدئ سيرها وإليه (ينتهي) سيرها، وذلك مستقرها"[٢٧]، وقال القطان: "دوران الشمس وجريانها لم يكتُشَف إلا بعد الرسول (عليه الصلاة والسلام)"[٢٨]، حيث: "ثبت للعلماء أخيراً أن للشمس دورتين: إحداهما حول محورها.. والثانية دورانها مع كل توابعها من الكَواكب السيارة وأقمارها حول مركز النظام النجومي..، وإذا علمنا أن هاتين الحركتين الحقيقيتين للشمس لم تثبتا بالبرهان العلمي والأرصاد الفلكية إلا حديثاً أدركنا ما في هذه الآية الكريمة من إعجاز عظيم"[٢٩]، وقال سيد طنطاوي: "(هذا) بيان لدقة نظامه سبحانه في كونه وأن هذا الكون الهائل يسير بترتيب في أسمى درجات الدقة وحسن التنظيم"[٣٠]، ومع تلك المآثر في البيان يفيض اليقين ويهتز الوجدان؛ وما أروع وصف تلك الحركات التي حيرت العقول قبل عصر الكشوف العلمية بأوجز بيان وأبلغ تمثيل يجسد الحقيقة الخفية زمن الوحي مع تلطف لا يلفت عن الغرض في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىَ عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ. لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ الَّليْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس ٣٨-40.

---

١ (http://hypertextbook.com/facts/2001/AngelaChan.shtml).

٢ تفسير ابن كثير (ج٤ ص٥٦١).

٣ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ج٧ ص٧٩).

٤ تفسير الرازي (ج٩ ص١٣٥).

٥ تفسير الألوسي (ج٩ ص١٨٠).

٦ تفسير أبي السعود (ج٣ ص٤٨٠).

٧ فتح القدير (ج٦ ص١٣٠).

٨ تفسير الرازي (ج١١ ص١٦).

٩ تفسير الألوسي (ج٦ ص١٩٧).

١٠ تفسير الألوسي (ج١٦ ص٤٨٤).

١١ تفسير القاسمي (ج١ ص٣٣٥).

١٢ تفسير الألوسي (ج٢٣ ص٢٣٩).

١٣ تفسير الألوسي (يونس ٥).

١٤ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (يس ٤٠).

١٥ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (ج٢٠ ص٥١٨).

١٦ الكشاف للزمخشري (ج٥ ص٤٣٤).

١٧ تفسير الألوسي (ج١٦ ص٤٧٩).

١٨ التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ج١٢ ص٤٠).

١٩ تفسير الألوسي (ج١٦ ص٤٧٥).

٢٠ في ظلال القرآن لسيد قطب (ج٦ ص١٦٧).

٢١ تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري (ج٢٤ ص٢١٩).

٢٢ تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري (يونس ٥).

٢٣ تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري (ج٦ ص٢١).

٢٤ تفسير البغوي (ج٤ ص١٦٢).

٢٥ بحر العلوم للسمرقندي (ج٣ ص٤٧٢).

٢٦ تفسير زاد المسير لابن الجوزي (ج٥ ص١٩٢).

٢٧ أيسر التفاسير للشيخ أبو بكر الجزائري (ج٣ ص٣٥٦).

٢٨ تفسير القطان (ج٣ ص١٦٨).

٢٩ تفسير القطان (ج٣ ص١٤٠).

٣٠ الوسيط لسيد طنطاوي (ج١ ص٣٥٣٨).